

بقايا الفصاح

بقلم : شفيق جبرى

جاءت نسخة من معجم الأصول العربية والأجنبية للغة العربية ، وهو من مطبوعات وزارة التربية في المملكة المغربية . ولما كنت مولعا بتتبع ألفاظ العامة التي ترجع الى أصل فصيح تصفحت هذا المعجم الذي صدر بمقدمة للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (2) أستاذ الحضارة والفن في جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، أشار فيها صاحبها الى اشتراك اللغتين العامية والفصحى في بلاد المغرب في أكثر الأصول والقواعد ، حتى في القلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك ، وضرب الأمثال بهذه الوحدة الاصيلية فدللت المقدمة على سعة الاطلاع في هذا الباب .

وهذا لا يمنعني من الاعتراف بقوة هذا اللفظ وأثره في لغتنا العامية .

لا نجد في أحاديثنا العامة للفظ البهدة المعنى الذي ذكره الفيروزابادى ، أى الخفة والاسراع في المشى ، وكذلك لا نجد له المعنى الذى أشار اليه الناج ، أى التنقص من الاعراض والتحرش ، وإنما معناه ما ذكره صاحب معجم الأصول العربية والأجنبية للغة العربية اذ قال : والمعروف عند عامة المغرب والشام أن المبهدل هو المستقذر لعدم انتظام لبسه أو مشيه أو عمله ، وقد اعتمد في ذلك على اثنى ، وقال : بهدله ، احتقره ، فى المغرب وبعض أقطار الشرق كمصر .

هذه المعاني الاخيرة هي التي ثبتت في لغة العامة لِمَاتَيْنِ المادتين : البهدة وبهده ، وليس من الضروري أن تحافظ الالفاظ على معانيها القديمة ، ففي لغتنا ألفاظ كثيرة انتقلت من معنى الى معنى على ترادف

لقد مررت في المعجم بالفاظ تقع على ألسن العامة في بلادنا ، فى جملة : البهدة والتشليح والكورجة ونظائرهما ، ورجعت الى الفيروزابادى للوقوف على معاني البهدة والتشليح ، فوجدت أن البهدة انما هي الخفة والاسراع فى المشى ، الا أن صاحب المعجم الذى نقلت عنه هاتين المادتين قال فى معنى البهدة : التنقص للاعراض والتحرش ، وقد استند فى ذلك الى الناج ، ثم قال : والمعروف عند عامة المغرب والشام أن المبهدل هو المستقذر لعدم انتظام لبسه أو مشيه أو عمله ، وقد اعتمد فى ذلك على اثنى ، وقال : بهدله ، احتقره ، فى المغرب وبعض أقطار الشرق كمصر .

من عادتي اذا وقعت على أمثال هذه الالفاظ العامية أن أفتش عن نص فى كتبنا القديمة وردت فيه لأن الاستشهاد بالنص أقوى ، الا اننى لا أعرف حتى هذه الساعة نصا جاء فيه كلمة البهدة بمعناها العامي (3)

(1) مجلة المجمع العلمى العربى (الجزء الرابع - المجلد التاسع والثلاثون) .

(2) الكتاب كله من تأليف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

(3) وردت لفظة بهدلة فى لطائف المتن للشعراني (ج ١ ص ١٧٥) مما يدل على أنها كانت مستعملة بمصر

فى القرن العاشر الهجرى (المؤلف) .

والتشليح هو لصوصية قطاع الطريق وان كان هذا اللفظ ليس بعربية صحيحة حسب الازهرى ، وانما غلب في بادية العراق ، وقد روى خبر موقوف عن علي عليه السلام في شأن اللصوص المشلحين ولا ندرى ما وجه تسمية بعض برابرة الاطلس بالشلوح ، اللهم الا اذا كان أهل الخواضر اعتبروهم قطاع طريق فسموهم بذلك .

وكيف ما كان الأمر فقد وردت مادة التشليح بمعنى التعرية ، وسواء أكانت هذه المادة لغة أهل القرى أم كانت لغة الخواضر ، أنها قوية في معناها ، خصبة في دلالتها ، فانا اذا قلنا اليوم ان قطاع الطريق خرجوا على فلان فعروه ، فان قولنا هذا أضعف من قولنا : خرجوا عليه فشلحوه ، فالتشليح أصبح لها في لغة العامة حتى والخاصة معنى لا يقوم به لفظ آخر ، فما أكثر ما نسمع في مجالسنا : التجار يشلحون في بيعهم والحكومات تشلح الناس وغير ذلك فلو استعملنا التعرية ، بدلا من التشليح لما كان لاستعمالنا الاثر الذي نريده .

بقيت المادة الثالثة التي أتيت على ذكرها في الصدر وهي : كسورجة وقد شرحها صاحب المعجم الذي نقلتها عنه فقال : باع كورجة ، أى بلا وزن ولا كيل ولا عد ، هي تركية معناها : العمى ، ووجه التشبيه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعنى بدون تبصر ، وهو البيع بالجزاف .

انى أهتم بالألفاظ العامية التي ترجع الى أصل فصيح ، أما الألفاظ الأجنبية فهي ليست موضع اهتمامى ، على أن الكسورجة دارجة على الألسن في دمشق ، ولها معنيان : حقيقى ومجازى ، أما المعنى الحقيقى فهو ما دل عليه صاحب المعجم : البيع بلا وزن ولا كيل ولا عد ، وقد يراد بذلك أيضا في لغتنا العامية بدمشق : النهي والتشليح في البيع ، وأما المعنى المجازى فهو في قولنا : أصبح الحكم كورجة أى لا نظام ولا قانون ، كل واحد يعمل بما يريد .

انى آسف على أن لا تكون هذه المادة من أصل عربى فصيح يمكن استعمالها في المخاطبات والمكاتبات لأن لها في أذهان العامة من القوة ما ليس لغيرها .

السينين . فالعامة تنصرف في الألفاظ تصرفا غريبا . فقد تنقل معنى المادة من وجه خاص الى وجه عام أو من وجه عام الى وجهه خاص ، أو تقتضى على بعض المصادر وتبقى على بعض الى غير ذلك من الامور التي لا يغفل عن الإشارة اليها علماء اللغة ، ففي مضارع فرغ وجهان ذكرهما المبرد في كامله ، تميم تقول يفرغ بفتح الراء والمصدر فراغ ، وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون يفرغ بضم الراء والمصدر فروغ ، فمادة : فرغ واحدة في أصلها ، الا أن العامة جعلت لكل مصدر من المضارعين معنى خاصا ، فالفراغ معروف معناه ، فانا نقول في أحاديثنا : أوقات الفراغ أما الفروغ فقد نقلته العامة في لغتها الى وجه خاص . من اصطلاحها في هذا الباب : فروغ يد ، ومعنى هذه العبارة ما يدفعه الرجل الى صاحب دكان اذا طلب إليه أن يخرج من دكانه ليحل محله ، فهم يقولون في هذا الوجه : فروغ يد ولا يقولون : فراغ يد ، كما أنا لا نقول : أوقات الفروغ ، من ذلك يتبين لنا أن مصدر يفرغ بفتح الراء حل محلا وان مصدر يفرغ بضم الراء حل محلا آخر ، وكل واحد منهما يختلف عن الآخر في معناه وبالأصل واحد .

لنرجع بعد هذا الاستطراد الى أصل الموضوع ، فالبهدة إنما هي من جملة الألفاظ التي نقلت العامة معانيها من وجه الى وجه وأكاد لا أعرف لفظا آخر يقوم مقامها في قوة التأثير ، فالرجل المبهدل هو المحتقر في كل شيء ، ولا يسد لفظ المحتقر مسده ، وكذلك لفظ : بهدله أى حقره ، فهو أقوى في التأثير في لغة العامة ، حتى فن لغة الخاصة من لفظ حقره ، ولا يمر بنا يوم دون أن نسمع فيه هاتين المادتين : رجل مبهدل حكومة مبهدة دولة مبهدة ، فالبهدة غساية في التحقير في كل مظاهره .

أما المادة الثانية التي ذكرتها في مقدمة المقال فهي : التشليح ، وقد قال الفيروزابادى في شرحها :

التشليح ، التعرية ، سوادية ، فهو يريد بذلك أنها من لغة سواد العراق ، وكأنه يعنى بذلك أنها عامية ، وقد توسع صاحب معجم الأصول العربية والأجنبية بعض التوسع في شرح التشليح فقال : شلحه عراه ،